Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحليل الكاتب كفرد – مهما كان هذا التحليل حساسًا وذكيًا – لا يعنى صراحة إلاّ شيئاً قليلا بالنسبة للقارئ الذى لم يتعرف بعد تعرفًا وافيًا على هذا الكاتب أوذاك . ولا شك أن قلة من القراء هى التى تعرف حوالى خمسمائة كاتب معرفة كافية ، أو أن هؤلاء الكتّاب الذين ناقشهم سانت بيف فى مجلداته النقدية الخمسين يمكن أن يحملوا تلك القلة على قراءتهم قراءة مستوعبة . وإذا ما صدق ذلك مع الباحثين المحترفين فى الأدب الفرنسى ، فإن الأمر يمكن فهمه إذا ما عرفنا لماذا كان سانت بيف دون النقاد الكبار فى القارة الأوربية – أقل قراءة بين الباحثين الناطقين باللغة الإنجليزية . ولكن إذا سلمنا بأن مادته النقدية ليست – فى الغالب – مألوفة بين الباحثين الناطقين باللغة الإنجليزية ، فإن منهجه يجب ألاّ يكون غريبًا عليهم . إن مرونة عقلية سانت بيف غير المعتادة ، تجعله – إلى حد بعيد – أكثر النقاد الفرنسيين عالمية . وهو يقرر بنفسه بأن أبرز عيوب العقلية الفرنسية هو صرامتها وتعصبها الإقليمى . فميلها للنظر بعين واحدة إلى أمور ذات سطح بِبُعْدَيْنِ – بالإضافة إلى المنطق المجرد – يجعلها تسرع إلى استخلاص نتيجة تتفق مع خطة مسبقة . ولرغبته فى تحقيق مفهوم لموضوعه يكون أكثر تخيلا وتجريبية واستدارة ، حاول بيف أن يتجنب تماماً التشيع المتطرف لمثل هذا الفكر الفرنسى فى النقد . إن فرديته التجريبية ، وابتعاده عن المذاهب والقضايا الخالصة فى تجريديتها ، يجعلانه أقرب إلى النقد الإنجليزى فى أحسن حالاته . ولكنه يختلف تماماً عن النقاد الإنجليز فى مثابرته – التى لا تعرف الكلل – على الالتزام بفكره النقدى ، وعلى ثقته الجريئة فى قيمة النقد .

ولقد بقى سانت بيف سنوات قليلة امتدت من ١٨٢٤ إلى ١٨٣١ ، وهو نصير متحمس للحركة الرومنسية ، وذلك عندما كان متأثراً – إلى حد ما – بفكتور هيجو ، ولكنه أخذ يبحث – متعمدًا – فى الوصول إلى رأى موضوعى مستقل ومشروع . فكان يقارن منهجه بالدراسة التحليلية التى يقوم بها العالم الطبيعى . قال بيف : « إن قرننا التاسع عشر يتميز عن القرن الثامن عشر بأنه ليس جامدَ المعتقد ، فهو – على ما يبدو – يتجنب الإدلاء برأى ، ولا يتسرع فى الوصول إلى نتائج » .

وخصيصة العلم هذه ، هى ما كان يبحث عنه سانت بيف كى يطبقه فى نقده . وليس خصيصة العلم المتعلقة بالتصنيف الصارم . قال بيف : « إننى أحلل وأدرس البيانات دراسة علمية . أنا عالم العقول الطبيعى . إن ما أود أن أؤسسه هو التاريخ الطبيعى للأدب . لذا –